هل ترغب بنصرة نبيّك ؟

أظنك تقول : بالتّأكيد ، ارشدنا لذلك .... الجواب : بسيط : نصرتُهُ تبدأ باتباع سيرته ، هل أنت مستعدّ أن تبايعه على ذلك ؟ أظنك تقول نفسي له الفداء ... إذن اقرأ بتمعن والتزم .

* نماذج من ذوقيات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم :

مقتبسة من كتاب : " قبسات من حياة النّبي صلّى الله عليه وسلّم " للدكتور مشهور فوّاز .

أهلنا الكرام : نضع بين أيديكم نماذج من ذوقيات النّبي صلّى الله وسلّم والتّي يحتاجها كلّ فرد وبيت ومؤسسة لنرتقي بأخلاقنا ومجتمعاتنا ، وننصح أن تجتمع الأسرة في البيت على قراءة هذه الكراسة في ذكرى مولده الشّريف احياءً لهذه الذّكرى العطرة في القلوب وانتصاراً لنبينا في ظلّ الهجمة الحاقدة على شخصه الكريم وهذه أفضل وسيلة لنصرة رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

جاء في الشّمائل للامام التّرمذّي :

1. "كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يخزُنُ لسانَهُ إلاّ فيما يعنيه "

قال الامام الباجوري رحمه الله تعالى : أي يحبسه ويضبطه عمّا لا يعنيه ، فكان صلّى الله عليه وسلّم كثيرَ الصّمت إلاّ فيما يعني فقد قال صلّى الله عليه وسلّم : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت " . (انظر : المواهب اللّدنية ، الامام الباجوري ، ص 535) .

2. وكان صلّى الله عليه وسلّم يؤلّفُ بين أصحابه ولا يُنفِّرُهُم : أي يجعلهم آلفين له مقبلين عليه بملاطفته لهم وحسن أخلاقه معهم أو يؤلّف بينهم بحيث لا يبقى بينهم تباغض ، ولا يفعل بهم ما يكون سبباً لنفرتهم لما عنده من العفو والصّفح والرأفة بهم . (انظر : المواهب اللّدنية ، الامام الباجوري ، ص 535) .

3. وكان النّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم دائمَ البِشْرِ – الابتسامة – رغم أنّ قلبه متواصلُ الأحزان بسبب شهوده لجلال ربّه سبحانه وتعالى ورغم أنّه صلوات الله وسلامه عليه دائم الفكرة مشغول البال على الأمة والدّعوة .

روى الامام التّرمذيّ في الشّمائل المحمدية عن عبد الله بن الحارث بن جَزْءٍ رضي الله عنه أنّه قال : ما رأيتُ أحداً أكثرَ تبسُّماً من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه ، قال : " ما رآني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منذُ أسلمْتُ إلاّ ضحك " أي تبسم . (المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الامام الباجوري ، ص 355 ، 363)

–وهو صلّى الله عليه وسلّم لا يضحكُ إلاّ تبسُّماً : أي مُعظمُ ضحكه بشاشة الفم من غير مبالغة في فتح الفم ، ولربما ضحك نادراً حتى بدت نواجذه – أي أضراسه – ، والمطلوب الاقتداء به صلّى الله عليه وسلّم فيما هو أغلب أحواله ، ففي الأدب المفرد للبخاري عنه

صلّى الله عليه وسلّم : " لا تُكثروا الضّحك فإنّه يميت القلب " . (المواهب اللّدنية ، ص 36-361 ، 367) .

4. وكان صلّى الله عليه وسلّم : يُكرِمُ كريمَ كلّ قومٍ ويولّيه عليهم : أي يُعظّم أفضل كلّ قوم بما يناسبُه من التّعظيم ويجعلهُ والياً عليهم وأميراً فيهم لأنّ القومَ أطوعُ لكبيرهم مع ما فيه من الكرم الموجب للرفق بهم ولاعتدال أمره معهم . (انظر : المواهب اللّدنية ، الامام الباجوري ، ص 535) .

5. وكان صلّى الله عليه وسلّم يتفقَّدُ أصحابَهُ – أي يسأل عنهم حال غيبتهم فإن كان أحدٌ منهم مريضاً عادهُ ، أي زارهُ ، أو مسافراً دعا لهُ أو ميتاً استغفر له ، ويسألُ النّاس عمّا في النّاس ، ويُحسّنُ الحسنَ ويُقوّيه – أي يمدح الشيء الحسن أو يمدح فاعله – ويُقبّحُ القبيحَ ويُوهّيه – بمعنى أنّه يُظهِرُ قبحه بذمه أو ذمّ فاعله ويزجر عنه . (انظر : المواهب اللّدنية ، الامام الباجوري ، ص 536) .

6. وكان صلّى الله عليه وسلّم مُعتَدِلُ الأمرِ – أي معتدل الحال والشّأن – لا يغْفُلُ عن تذكير وتعليم أصحابه مخافة أن يغفُلُوا أو يميلوا إلى الدّعَة – الكسل – والرّاحة . (انظر : المواهب اللّدنية ، الامام الباجوري ، ص 537) . وبالمقابل لا يثقل عليهم مخافة أن يميلوا عنه وينفروا منه .

7. وكان رسولُ اللهُ الله صلّى الله عليه وسلّم لا يقومُ من مجلسه ولا يجلس فيه وهو متلبسٌ بذكر الله تعالى . (انظر : المواهب اللّدنية ، الامام الباجوري ، ص 538)

8. وإذا انتهى إلى قومٍ جلس حيثُ ينتهي به المجلسُ ويأمر بذلك ، فقد جاء في أحاديث كثيرة ، منها خبر البيهقيّ وغيرُهُ : " إذا انتهى أحدُكُم إلى المجلس فإن وسِّعَ له فليجلس وإلاّ فلينظُر إلى أوسع مكان يراه فليجلس فيه " .

قال الامام الباجوريّ رحمه الله تعالى : " والمعنى أنّه إذا وصل النّبي صلّى الله عليه وسلّم لقومٍ جالسينَ جلسَ في المكان الذّي يلقاهُ خالياً من المجلس ، فكان صلّى الله عليه وسلّم لا يترفع على أصحابه حتى يجلس صدر المجلس وهذا يدلّ على مزيد تواضعه صلّى الله عليه وسلّم ومكارم أخلاقه ، ومع ذلك فأينما جلس صلّى الله عليه وسلّم يكون هو صدر المجلس " . (انظر : المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الامام الباجوري ، ص 538) .

10. وكان صلّى الله عليه وسلّم يُعطي كلّ واحدٍ من جلسائه نصيبَه وحظه من البِشْرِ – أي الابتسامة – والطّلاقة ، والتّعليم والتّفهيم ، بحسب ما يليقُ به ، بحيث لا يحسَبُ أحدُ جُلسائه أنّ أحداً أكرمُ عليه عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بل كان يظنُّ كلُّ واحد منهم أنّه أقربُ من غيره إليه صلّى الله عليه وسلّم . (انظر : المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الامام الباجوري ، ص 539) .

–فهو صلّى الله عليه وسلّم قد وسِع النّاس بَسْطُهُ – أي بِشْرُهُ وطلاقَةُ وجهه – وخُلُقُهُ ، فصار لهُم أباً ، وصاروا عندَهُ في الحقّ سواءً أي مستوين في الحق .

قال الامامُ الباجوريّ رحمه الله تعالى : " غايةُ الأب أن يسعى في صلاح الظّاهر ، وهو صلّى الله عليه وسلّم يسعى في صلاح الظّاهر والباطن " . (انظر : المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الامام الباجوري ، ص 541) .

11. يضحكُ ممّا يضحكُ منه جلساؤه ويتعجّبُ ممّا يتعجّبونَ منهُ موافقةً لهم وتأنيساً وجبراً لقلوبهم . (انظر : المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الامام الباجوري ، ص 568)

12. من جالسَهُ صلّى الله عليه وسلّم أو فاوضهُ صابرهُ حتّى يكون هو المنصَرِف عنه : والمعنى أنّه إذا شرع – أي بدأ – أحدٌ معه في الكلام في مشاورةٍ أو مراجعة في حاجة له لا يبادر صلّى الله عليه وسلّم بالقيام من المجلس ولا يقطعُ الكلام ولا يُظهر الملل والسّآمة حتى يكون المجالس أو المفاوض هو المنصَرِف عنه لا الرّسول صلّى الله عليه وسلّم لمبالغته في الصّبر معه صلوات الله وسلامُه عليه . (انظر : المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الامام الباجوري ، ص 540) .

13. من سأله صلّى الله عليه وسلّم حاجةً لم يرُدُّه إلاّ بها أو بميسورٍ من القولِ : أي من سأله صلّى اللهُ عليه وسلّم – أيَّ إنسان كان – حاجةً أيةَ حاجةٍ كانت – لم يردَّ السّائل إلاّ بها إن تيسرت عنده أو بميسور أي حسنٍ من القول إن لم تتيسر الحاجة عنده صلّى الله عليه وسلّم . (انظر : المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الامام الباجوري ، ص 540)

روى التّرمذيّ في الشّمائل عن مُحمّد بن المنكَدِرِ ، قالَ : " سمعتُ جابرَ بنَ عبدِ الله يقولُ : " ما سُئلَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم شيئاً قطّ فقال : لا " .

أي ما سأله أحد شيئاً من أمور الدّنيا من الخير ، فقال : لا أعطيك ، ردًّا له قطّ أبداً ، بل إمّا أن يعطيه إن كان عنده المسؤول ، أو يقولَ له ميسوراً من القول ، بأن يعِده أو يدعوَ له ، فكان إن وجد جاد وإلاّ وعد ولم يُخلِف الميعاد . (انظر : المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الامام الباجوري ، ص 570)

فكان صلّى الله عليه وسلّم كما قال بعضُهُم :

ما قال لا قطَّ إلاّ في تشهدِه لولا التّشهدُ كانت لاؤه نعمُ

وفي الشّمائل المحمديّة للامام التّرمذيّ عن سيّدنا عمر بنِ الخطّاب رضي الله تعالى عنه : أنّ رجُلاً جاء إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فسألهُ أن يُعطيهُ ، فقال : النّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم : " ما عندي شيء ، ولكن ابْتَعْ عليّ فإذا جاءني شيءٌ قضَيْتُهُ " — أي اشتر ما تحتاجه بدَين ويكون عليّ أداؤه إذا جاءني شيء من باب الله تعالى كفيءٍ أو غنائم –

فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله قد أعطيتُهُ — أي قد أعطيتَ هذا السّائل من قبل هذا أو قد أعطيته الميسور من القول فلا حاجةَ إلى أن تَعِدَهُ بالاعطاء بعد ذلك – ، فما كلّفكَ اللهُ ما لا تَقدِرُ عليه ، فكرِهَ صلّى الله عليه وسلّم قولَ عمر ، فقال رجلٌ من الأنصارِ : يا رسولَ الله ، أنفقْ ولا تخَفْ من ذي العرشِ إقلالاً ، فتبسّم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعُرِفَ في وجهه البِشْرَ — أي الطّلاقة والبشاشة – لقول الأنصاريّ ، ثمّ قال : " بهذا أُمِرْتُ " .

وبالجملة : فهو صلّى الله عليه وسلّم أجودُ النّاس بالخيرِ فكان يُعطي عطاء الملوك ويعيشُ عيشَ الفقراء ، فمن جوده العظيم : أنّه أعطى رجلاً غنماً ملأت ما بين الجبلين ، فرجع لقومه ، وقال : أسلِموا فإنّ محمّداً يعطي عطاءَ من لا يخاف الفقر ، وأعطى مئةً من الابل لكلّ واحد من جماعة من الصّحابة ، كالأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ، والعباس بن مرداس ، وغيرهم .

وأعطى حكيمَ بن حزام مئةً ثمّ مئةً ، وجاءه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير من حصير المسجد وقسّمها ، فما ردّ سائلاً حتى فرغت . (انظر : المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الامام الباجوري ، ص 571)

14. وكان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقبلُ الهدية ويُثيبُ عليها أي يُجازي عليها بأن يُعطي المهدي بدلَها . (انظر : المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الامام الباجوري ، ص 577)

وفي الشّمائل المحمدية للامام التّرمذيّ عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : " لو أُهدِيَ إليَّ كُراعٌ لَقَبِلْتُ ، ولو دُعيْتُ عليْهِ لأجَبْتُ "

والكُراعُ هو : ما دون الكعب من الدّواب .

والحكمة من قبوله صلّى الله عليه وسلّم كما أفاد الامام الباجوريّ رحمه الله تعالى ليحصل التحابب والتآلف فإنّ الرّدّ يُحدِثُ النّفور والعداوة ، فيندبُ قبول الهدية ولو لشيءٍ قليل . (انظر : المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الامام الباجوري ، ص 577)

– قال الامام الباجوريّ رحمه الله تعالى : " يُسنُّ قبول الهدية حيث لا يوجد شبهة في مال المهدي وإلاّ فلا يقبلها . (انظر : المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الامام الباجوري ، ص 578)

15. مجلِسُهُ مجلسُ حِلْمٍ – أي أناة وضبط للنفس وصبرٍ – منه صلّى الله عليه وسلّم على جفوتهم لقوله تعالى : " وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ " (سورة آل عمران : آية 159) .

قال الامام الباجوريّ رحمه الله تعالى : "كان الصّحابة يجلسون معه صلّى الله عليه وسلّم على غايةٍ منَ الأدب والحياء ، وإذا تكلّم أطرق جلساؤه كأنّما على رؤوسهم الطّير – أي أرخوا رؤوسهم إلى الأرض ونظروا إليها وأصغوا إليه لاستماع كلامه ولسرورهم وارتياح أرواحهم بحديثه ، فإذا سكت تكلّموا فلا يبتدرونه بالكلام ولا يتكلمون مع كلامه ولا يختصمون عندهُ

في الحديثِ ولا يقطع بعضهم على بعض كلامه بل يستمعوا لكلامِ المتكلّم حتى يفرغَ من كلامه .

ولا يرفعُ أحدٌ منهم صوته في مجلسه صلوات الله وسلامُه عليه ، بخلاف كثير من طلبة العلم فإنّهم يرفعون أصواتهم في الدّروس إمّا لرياء أو لبُعدِ فهم " (انظر : المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الامام الباجوري ، ص 540 ، 567 ، 568)

ومجلسُه صلّى الله عليه وسلّم مجلسُ أمانة على ما يقع في المجلس من الأسرار . " (انظر : المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الامام الباجوري ، ص 541)

16. وهو صلّى الله عليه وسلّم لا يقطَعُ على أحدٍ حديثَهُ حتّى يجوزَ – أي يتجاوز الحد أو الحق – فيقطعُهُ صلّى الله عليه وسلّم إمّا بنهيّ له عن الحديث إن أفاد النّهيّ وإلاّ قام من المجلس كأن يكون المتجاوز معانداً – أي لم يرتدع بالنّهي – (انظر : المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الامام الباجوري ، ص 570) .

17. لا تُؤْبَنُ (أي لا تُعابُ) الحُرَمُ (أي حرمات النّاس) في مجلسه صلّى الله عليه وسلّم ولا هفوات ولا فلتات في مجلسه صلّى الله عليه وسلّم بل مجلسه صلوات الله وسلامه عليه مصون عن كلّ قولٍ قبيح . (انظر : المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الامام الباجوري ، ص 542)

18. ولا يفخرُ أحدٌ على أحدٍ في مجلسه صلّى الله عليه وسلّم بحسبٍ ولا نسبٍ يوقّرون فيه الكبير ويَرحمون في الصّغير ، ويؤثرون ذا الحاجة (أي يُقدّمونه على أنفسهم في تقريبه للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليقضي حاجته منه) ، ويحفظون الغريب (أي الغريب من النّاس)

بحفظ حقّه وإكرامه لغربته . (انظر : المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الامام الباجوري ، ص 542)

19 . ومن عظيمِ حِلْمِهِ وصفحِهِ صلوات الله وسلامه عليه : تركه العتاب على ما فات وصونِ اللّسان عن الزّجر والذّمّ للمخلوقات ، فقد روى الامام التّرمذي في الشّمائل المحمدية عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : " خدمْتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم عشر سنين ، فما قال لي أُفٍّ قطّ ، وما قال لي لشيءٍ صنَعْتُهُ لِمَ صنَعْتَهُ ؟ ولا لشيءٍ تركْتُهُ : لِمَ تركْتُهُ ... ". (انظر : المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الامام الباجوري ، ص 554) .

بل كان صلّى الله عليه وسلّم يتغافلُ عمّا لا يشتهي : أي يُظهرُ الغفلة والاعراض عمّا لا يستحسنُهُ من الأقوال والأفعال تلطفاً بأصحابه ورفقاً بهم . (انظر : المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الامام الباجوري ، ص 565) .

-ولم يكن صلّى الله عليه وسلّم بالجافي ولا المهِين : أي ليس بغليظِ الطّبع ولا يُهينُ من يصحبُه . (المواهب اللّدنية ، ص 357)

-ولم يكن صلّى الله عليه وسلّم يغضبُ لأجل الدّنيا : بل لا يغضبُ إلاّ لله تعالى وذلك لعدم نظره للدنيا ومبالاته بها وكيف تغضِبُهُ الدّنيا وهو لم يُخلق لها وإنّما خُلِقَ للآخرة ؟! (المواهب اللّدنية ، ص 358)

- وهو صلّى الله عليه وسلّم لا يغضبُ لنفسِه ولا ينتصِرُ لها : بل يعفو عن المعتدي عليه لكمال حسن خُلقِه ، فهو صلّى الله عليه وسلّم لم يبق فيه حظّ من حظوظ النّفس وشهواتها بل تمحَّضت حظوظُه لله سبحانه وتعالى . (المواهب اللّدنية ، ص 359) .

-وهو ومع ذلك كلّه كان النّبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلّم يَحْذَرُ النّاس ويحترسُ منهم : أي يحترز من النّاس ويحتفظ منهُم لأنّه صلّى الله عليه وسلّم لم يكن متغفَّلاً ولكن من غير أن يطويَ عن أحدٍ منهم بِشْرَهُ وخُلُقَهُ – أي من غير أن يمنعَ – عن أحدٍ طلاقَةَ وجهه ولا حُسْنَ خُلِقِه . (انظر : الشّمائل المحمدية للإمام التّرمذّي ومعه المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، للإمام الباجوري ، ص 535) .

20. وهو صلّى الله عليه وسلّم سهلٌ ليّن : تقول أمّ المؤمنين السّيدة عائشة رضي الله عنها : " وما خُيّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بين أمرين إلاّ اختار أيسرَهُما ما لم يكُن مأثماً " أي مفضياً إلى الاثم ، والمعنى أنّه إذا كان الأيسرُ يفضي للإثمِ فإنّه يختارُ الأشدّ .(انظر : المواهب اللّدنية ، الامام الباجوري ، ص 561) .

قال الامام الباجوريّ رحمه الله تعالى : " أي ما خُيّرَ بين أمرين من أمور الدّنيا ، وليس أمور الدّين ، بدليل قولها رضي الله عنها " ما لم يكُن مأثماً " لأنّ أمور الدّين لا إثم فيها ...

21.وفي المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية عن السّيدة عائشة رضي الله عنها قال : "لم يشبع صلّى الله عليه وسلّم قط " .

قال الامام الباجوريّ رحمه الله تعالى : " والمذموم إنّما هو الشّبعُ المثقِل الموجب للكسل ، المانع من تحصيل العلم والعمل ، فقد نُقِلَ عن بعضهم : " لا تدخل الحكمةُ معدةً ملئت طعاماً " .

وصح عنه صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال : " ما ملأ ابنُ آدم وعاءً شرًّا من بطنه ، حسْبُ ابنِ آدمَ لُقيماتٌ يُقِمْنَ صلبَهُ ، فإنْ كان ولا بُدَّ : فثلثٌ لطعامه وثُلُثٌ لشرابِهِ وثُلُثٌ لنَفَسِه " . (انظر : المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الامام الباجوري ، ص 590) .

22. وهو صلّى الله عليه وسلّم مُقْتَصِدٌ في عيشه :

فقد روى الامام التّرمذّي رحمه الله تعالى في الشّمائل المحمدية عن سُليم بنِ عامِر ، قال : سمعتُ أبا أُمامةَ يقولُ : " ما كان يفضُلُ عن أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خُبزُ الشّعير " .

قال الامام الباجوريّ رحمه الله تعالى : أي ما كان يزيدُ عن كفايتهم ، بل كان ما يجدونه لا يشبعُهُم في الغالب ، وقال مِيْرَك : أي كان لا يبقى في سُفرتِهِم فاضل عن مأكولهم " ، ويؤيّدُه ما روي عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنّها ، قالت : ما رُفِعَ عن مائدته صلّى الله عليه وسلّم كِسرَةَ خُبزٍ حتى قُبِضَ " (انظر : المواهب اللّدنية ، الباجوري ، ص255) .

-قلت أين ما تشهده بيوتُنا وأفراحنا وحياتُنا عموماً من الاسراف والبذخ والتّرف بحيث ما يُلقى في الأعراس والمناسبات في النّفايات أكثر ممّا يؤكل في كثير من الأحيان ، وإلى الله المشتكى !!

وهذا يخالف هديه صلّى الله عليه وسلّم وتواضعه ، فقد روى التّرمذيّ في الشّمائل : " عن أنسٍ بنِ مالك رضي الله عنه أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أولمَ على صفيةَ بتمرٍ وسَويق " .

قال الباجوري رحمه الله تعالى : " السَّويق هو : ما يعمل من الحنطة أو الشعير " (المواهب اللّدنية ، ص 289) ، وهو يقال له في زماننا السّميد مع التّمر أي الكعك .

وهو صلّى الله عليه وسلّم الذّي لا يباريه أحد في السؤدد والشّرف والمكانة ، وهي رضي الله عنها ابنةُ سيّد قومها وأصبحت بزواجها برسول الله صلّى الله عليه وسلّم أم المؤمنين .

ولو أراد بأبي هو وأمي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يقيم أفخر عُرسٍ على وجه التّاريخ إلى قيام السّاعة لفعل وما ذلك عليه بصعب !!

ولكن أراد أن يُعلّم أمته الاقتصاد في العيش وعدم المبالغة والمفاخرة والإسراف وهو بالوقت نفسه يقضي بصورة تطبيقية – لا مجرد نظريات وخطابات – على ظاهرة الرّياء الاجتماعي الزّائف .

فيا ليت لو أنّ الأمة تقتدي بهدي نبيّها في أعراسها ومناسباتها وحياتها ... إنّها بذلك ستستغني عن البنوك الرّبوية والقروض وتتغلب على همّ الدّين وتشعر بالرّاحة والطمأنينة !!

23. ومن كمال أخلاقه وذوقه السّامي الرفيع صلّى الله عليه وسلّم أنّه لم يعِبْ طعاماً قطّ !!

روى الشّيخان في الصّحيحين : أنّه صلّى الله عليه وسلّم : " ما عاب طعاماً قطّ "

قال الامام الباجوريّ رحمه الله تعالى : " ويؤخذُ منه أنّ من آداب الطّعام : أن لا يُعابَ كمالحٍ ، حامضٍ ، قليل الملحِ ، غيرِ ناضجٍ ، ونحو ذلك كما صرّح به النّووي رحمه الله تعالى ، وأيضاً ورد : " أنّه صلّى الله عليه وسلّم ما عاب طعاماً ولا مدحه " ، أي لا يبالغ في مدح الطّعام لأنّ ذلك يدلّ على شَرَهِ النّفس أي شدة تعلقها بالطّعام " . (انظر : المواهب اللّدنية شرح الشّمائل المحمدية ، الباجوري ، ص565) .

وعن أمّ المؤمنين السّيدة عائشة رضي الله عنها : "كان لا يسألُ أهله طعاماً ولا يتشهاهُ فإن أطعموهُ أكل ، وما أطعمُوهُ قَبِل وما سقوه شرب "

وروى التّرمذيّ عن السّيدة عائشةَ أمّ المؤمنين رضي الله عنها ، قالتْ : كان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يأتيني فيقولُ : " أعِندَكِ غدَاءٌ ؟ فأقول : لا ، فيقولُ : " إنّي صائمٌ " قالتْ :

فأتاني يوماً ، فقلْتُ : يا رسول الله إنّه أُهدِيتْ لنا هديةٌ ، قال : وما هي ؟ قلتُ : حَيْسٌ ، قال : " أما إنّي أصبحتُ صائماً " ، قالت : ثمّ أكل .

قال الباجوريّ رحمه الله تعالى : " الحَيْس : هو التّمر مع السّمن والأَقِط أو الدّقيق أو الفتيت فيُدلَكُ الجميع حتى يختلط " ، وفيه جواز قطع صيام النّفل وهو مذهب الشّافعيّ ويؤيده ما جاء في الحديث : " الصّائم المتطوع أمير نفسه إن شاء صام وإن شاء أفطر " ، فإن قيل أليس في ذلك تعارض مع قوله تعالى : " ولا تُبطِلوا أعمالَكُم " أجبنا : أنّ النّهي في الآية يحمل على حرمة ابطال الفرض ووجوب الاستمرار فيها وأمّا في النّوافل فالاستمرار فيها مستحب " (المواهب اللّدنية ، ص 297) .

وروى التّرمذيّ في الشّمائل المحمدية عن يوسُفَ بن عبد الله بن سلام ، قال : رأيتُ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أخذَ كِسرَةً من خُبْزِ الشّعير فوضع عليها تمرةً ، وقال : " هذه إدامُ هذه " وأكل .

وفي الشّمائل عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها : أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : " نِعْمَ الإدامُ الخَلُّ "

قال الامام الباجوريّ رحمه الله تعالى : " هذا مدحٌ له بحسب الوقت كما قاله ابن القيّم ، لا لتفضيله على غيره ، لأنّ سبب ذلك أنّ أهله قدّموا خبزاً ، فقال : " هل من أُدْم ؟ " قالوا : ما عندنا إلاّ خلّ ، فقال ذلك الحديث جبراً لقلب من قدّمه له وتطييباً لنفسه لا تفضيلاً له على غيره " . (انظر : المواهب اللّدنية ، الباجوري ، ص262) .

-قلت فانظر إلى سهولة ومرونة تعامل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مع الأمور كلّها ، لم يكن الأكل والطّعام هدفاً له في الحياة كما نجده في كثير من البيوت والمجالس للأسف !! حيث لا حديث لهم إلاّ عن أشهى وألذّ طهية !! وأفخر مطعم !! وتجد المرأة تقف السّاعات الطويلة من أجل إعداد أشهى الطبخات !!

وترى على الطّاولة مختلف الألوان والأنواع من الطّعام !! وقد انعكست آثار ذلك سلبياً على أحوال البيت التّربوية والاجتماعية والاقتصادية ذلك أنّ ثلثي المعاش والدّخل الشّهري ذهاب للطعام والبطون ، وقبل نهاية الشّهر تجد الرّجل يتكفف البنوك فيقع في أكبر الكبائر وهي القروض الرّبوية إلى حين قبضة المعاش ليستطيع القيام بمستلزمات باقي الشّهر !!

وإذا لم يجد الزّوج الطعام الجديد في كلّ يوم تجده يُزبِد ويُرغِد ويستشيطُ غضباً بل قد وقع حالات طلاق كثيرة بسبب الاختلاف على الطّعام !! فهلاّ من عودة إلى سيرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم !!

24. ومن محاسنِ أخلاقه وذوقه الرّفيع صلّى الله عليه وسلّم أنّه كان يُعظِّمِ النّعمة وإن دقَّت – أي وإن قلّت – لا يذُمُّ منه شيئاً ، وسببُه شهودِ المنعِم في كلّ ملائم . (المواهب اللّدنية ، ص 358)

25. ولم يكُنْ صلّى اللهُ عليه وسلّم يذُمُّ ذَواقاً ولا يَمْدَحُهُ : أي لم يكن يذمُّ مأكولاً أو مشروباً ولا يمدحُه ، لأنّ ذمّ الطعام شأن المتكبرين ومدحَهُ شأن المستكثرين . (المواهب اللّدنية ، ص 358)

* بمعنى أنّه صلّى الله عليه وسلّم ليس كما نرى من أحوال كثير من النّاس من التشهي للأطعمة وبذل النّفيس والرّخيص وتضييع الأوقات وإسراف الأموال من أجل متعة البطون ، حتى أنّه تصدق المقولة على البعض أنّه يعيش لأجل أن يأكل ولا يأكل لأجل أن يعيشَ .

صلّى الله عليه وسلّم تسليماً كثيراً كلّما ذكره الذّاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

المادة مأخوذة من كتاب " قبسات من حياة النّبي صلّى الله عليه وسلّم "

للدكتور مشهور فوّاز

الأربعاء 11 ربيع الأول 1442 هـ

28.10.2020 م